مرشدةً وهادية الأجيال الى الله مصدر ونبع كل شيء يقود الى زرع ونشر كلمة الحقّ في الكون، وقد قال السيد المسيح يوماً: **"تعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم"**. وعندما يمارس الدين بهذه الطرق الإيجابية بواسطة الملتزمين به وحاملي مشاعله النيّرة، يتحوّل الكون الى فردوس النعيم وجنّة عدن التي خُلق فيها الإنسان أصلاً.

كثيراً ما يُساء فهم الدين بسبب أدعياء الدين وحاملي رسالة الدين من تصرّفات ومواقف وإطلاق شعارات وقدوة غير صالحة، ويكون ذلك علة على الرسالة وأصحابها، وهذا ينطبق على كهنة اليهود الذين لم يتصرّفوا بأمانة بالتوراة وشريعة موسى في العهد القديم اذ كانوا يعلّمون أمراً ويمارسون ضدّه، حتى وبّخهم السيّد المسيح قائلاً: **على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيّون، فمهما قالوا لكم فافعلوه، لكن إحذروا أن تفعلوا أفعالهم"**.وجاء في العهد الجديد في تعاليم الرسل قول يطابق هذا: **"يفترى على الإسم الحسن الذي به دعيتم بسبب سوء أعمالكم وتصرّفاتكم"** تأملوا أين هي القدوة في سلوك وممارسات الذين ينتسبون الى هذا الدين او ذاك بل الى هذه العقيدة او تلك، ولنا في جيلنا المعاصر مثلٌ قريب نطق به زعيم الهند ومحرّرها **المهاتما غاندي** حيث قال للإنكليز مستعمري بلاده: **أحب مسيحكم لا مسيحيّتكم.** فلو أحسن قادة الإنكليز المدعوّون مسيحيين إسماً معاملة الهندوس والهنود عامة، لكانوا سبباً في خلاص كثيرين من هؤلاء الوثنيّين وهدايتهم واجتذابهم الى ديانة التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد الصمد بدلاً من آلهة كثيرة يضحّي لها الهنود ويعبدونها وهي مخلوقات صنعها الإنسان وسجد لها، وما يزال كثيرون يؤمنون بها ويعبدونها دون الله الخالق الحقيقي.

أمّا دور الأديان في بناء الحضارة الإنسانيّة ، فهذا يتجلّى في كلّ القوانين والدساتير والشرائع التي سنّها الإنسان وكتبها ونظّمها ورتبّها، فتأتي في هذه السلسلة الكثيرة الحلقات في تاريخ الإنسان . وترى تشابهاً متقارباً في معظمها مع ما خلفته الأديان وطبعته في حضارات البشر، فإذا أخذنا شريعة الملك العظيم حمورابي ملك بابل والمشرّع الكبير في حياة الكون، نرى كثيرا من حكمه وتعاليمه وقوانينه منصوصا منها في شريعة موسى وكتاب التوراة في العهد القديم. وكذلك نقرأ كثيراً من حكمه أحيقار مستشار سنحاريب ملك أشور في القرن السابع قبل الميلاد في أمثال سليمان وسفر الجامعة في العهد القديم. وكذلك نرى حكمة يشوع ابن سيراخ وتعاليم وحكمة لقمان في نصوص متقاربة ان لم تكن متطابقة. وهكذا قل بالنسبة لحضارة المايا القديمة في أميركا اليوم، وتجد نظيراتها في بلاد ما بين النهرين أرض الرافدين ووادي النيل والصين والقارة الهندية وجنوب شرق آسيا وسواها ممّا يقودنا الى القناعة أنّ ملهم كلّ هذه الحضارات هو الله المنبع والمصدر.

كل هذه التعاليم المقتبسة والمستمّدة من الأديان والتعاليم الدينيّة هي ضمانة لكرامة الإنسان وحرّيته وحقوقه بحسبانه وصفته بانيا للحضارة ومقصودا بها، بل هو وسيلتها وغايتها.